قلائد المفاخر

بين الأصل الفرنسي لدبنج Depping والترجمة العربية للطهطاوي(*)

للأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي

كان كتاب "قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر" تأليف دبنج (باريس 1826م) وترجمة الطهطاوي أول كتاب يترجم من لغة أوربية حديثة وينشر باللغة العربية(القاهرة 1833م). ويهدف هذا البحث إلى التعريف بالمؤلف وبالكتاب وبصلة الطهطاوي به وعلمه في تعرف مشكلاته وفي التقديم له ومنهجه في الترجمة ومشكلات نقل المصطلحات وألفاظ الحضارة.

أولاً : المؤلف دبنج وكتابه

كان الكاتب الأوربي دبنج G.B.Depping.(1784–1853) مؤلف أول كتاب كامل ترجمه الطهطاوي (1801 – 1873) من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية. لم يحظ هذا الكتاب باهتمام كبير عند مؤرخي الإنتاج الفكري الأوربي، وإن كانت أعماله بالألمانية والفرنسية قد سجلت في الببليوجرافيات الشاملة. ولد جورج برنهارد أو كما يقال بالفرنسية جورج برنار دبنج في مدينة مونستر Munster في ولاية فستفالين في ألمانيا، وهي مدينة صغيرة تقع في منطقة محافظة وتتوسطها جامعة عريقة.

كان أبواه ألمانيين، تاريخ مولده 11 مايو 1784م. درس في مدينة مونستر، ووصفت المراجع الفرنسية هذه الدراسة بأنها كانت ممتازة. وسافر سنة 1803م إلى باريس، فأعجبته الحياة والثقافة فاستمر هناك. لم يستقر هناك في منصب دائم، وتنوعت أعماله تنوعًا كبيرًا . بدأ

(*) ألقي هذا البحث في الجلسة الخامسة من جلسات مؤتمر المجمع في دورته الثامنة والستين يوم الأربعاء 13 من المحرم سنة 1423هـ الموافق 27 من مارس (آذار) سنة 2002م.

معلمًا للغة الألمانية، ثم عمل مراسلاً يقدم تقارير عن فرنسا في صحيفة Morgenblatt، ثم كان مدرسًا في المدارس الخاصة، ثم أمينًا لإحدى المكتبات، وفي كل هذه السنوات كان يؤلف ويكتب بشكل جاد. تنوعت أعمال دبنج تنوعًا كبيرًا، ألَّف بالألمانية في البداية ولكن أكثر إنتاجه كان بالفرنسية. وكانت مكانته كبيرة نسبيًّا في الحياة الثقافية الفرنسية حتى إنه نال في فرنسا عددًا من الجوائز.

أول أعمال دبنج قصة شعرية ألمانية بعنوان مندور ولاورا (1806م)، ألَّف للأطفال مجموعة من الحكايات في مجلدين بالفرنسية (1807م)، ثم أعد للناشئة تدريبات نحوية لاتينية(1801م)، ثم كتب تاريخًا موجزًا لإسبانيا في مجلدين (1811م)، وكتب كتابًا عن العجائب ومظاهر جمال الطبيعة في فرنسا (1811م)،وكتابًا أساسيًّا في الجغرافيا (1812م)، وفي تلك السنوات المبكرة نشر كثيرًا في الدوريات الثقافية الفرنسية والسويسرية والألمانية بكلتا اللغتين الفرنسية والألمانية، وهكذا تحققت شهرته في فرنسا على وجه الخصوص.

لقد أنجز دبنج عدة أعمال كبرى، نشر المراسلات الإدارية في عهد لويس الرابع عشر في أربعة مجلدات، تعاون معه ابنه جيوم في إعداد المجلد الرابع (1829م – 1932م).

اهتم دبنج اهتمامًا خاصًّا بكتب الرحالة والجغرافيا والتاريخ. ألَّف بالفرنسية (1813م) كتابًا تناول رحلته من باريس إلى نيوشاتل في سويسرا، ونشر (1822م) كتابًا في مجلدين عن سويسرا، وكتابًا آخر تضمن رحلة طالب في قارات العالم في مجلدين أيضًا. وألَّف أيضًا عن جغرافية إسبانيا والبرتغال(1823م) وعن بلاد اليونان (1823م). وبعد ذلك نجد كتابه في الجغرافيا للشباب (1824). وفي العام الذي نشر فيه كتابه الذي ترجمه الطهطاوي(1826م) نجد له أيضًا كتابًا في مجلدين عن تاريخ الحملات

البحرية للنورمانديين. وتدل قائمة كتبه ومقالاته بعد ذلك على استمرار هذه الاهتمامات بحياة الشعوب وتاريخها وعلاقات الدول.

الكتاب الذي عرفه الطهطاوي من مؤلفات دبنج في أثناء دراسته في باريس هو الكتاب الذي ترجمه له إلى العربية. كتب الطهطاوي عنه في سياق الكتب الفرنسية التي قرأها على مسيو شفالييه: "قرأت كتابًا يسمى سير أخلاق الأمم وعوايدهم وآدابهم" (تخليص الإبريز 333) . ويبدو لنا من عبارة الطهطاوي أنه قرأ الكتاب، ولم يقتصر فيه على صفحات محددة على نحو ما ذكر مع بعض الكتب. والكتاب المقصود هو:

G.B.Depping , Apercu historique sur les Moeurs et Coutumes des Nations , Paris , 1826.

لقد شُغلتُ منذ نحو ثلاثين عامًا بالكتابة عن الطهطاوي (1973م) ونشرتُ تخليص الإبريز بالمقارنة بالأصول الفرنسية (1974م). ولكن كتاب دبنج ظل غير متاح لي، ولم يكن متاحًا – فيما يبدو – لمن كتبوا عن الطهطاوي. وعلى الرغم من دعوتي أكثر من مرة أستاذًا زائرًا بجامعة ليون الثانية في فرنسا 1995–1996م إلا أنني لم أحصل على الكتاب إلا في ألمانيا (2000م)، أرشدتني شبكة المعلومات الببليوجرافية للمكتبات الألمانية إلى وجوده بالمكتبة الخاصة بقلعة الأمير في كورفي Corvey بالقرب من جامعة بادر بورن Paderborn . وبذلك يتيح وجود الأصل الفرنسي عمل طبعة علمية من الترجمة العربية مع التعليقات عن اللغة والمحتوى.

لم يترجم الطهطاوي مقدمة الكتاب كما لم يعرض للمراجع التي ذكرها المؤلف في آخر الكتاب، ونقل المترجم محتوى نصوص الفصول إلى العربية. تتضح من المقدمة سمات الإطار الفكري للمؤلف، ذلك أن حياة الشعوب المختلفة تتضمن اختلافات وظواهر متماثلة Les différences et les analogies (P.1) وأن

هـذا الموضـوع مـن أهـم موضـوعات التأمل الفلسفي، وفـي الوقت نفسه فإن هناك أخطاء كثيرة عند الرحالة. ولهذا كله وجد دبنج من الضروري أن يقدم كل أنماط الحياة في كل القارات إلى الشعوب المتحضرة، ونصّ علـى أنـه اسـتبعد فـي فصـول الكتـاب عـدة موضوعات، منها: المؤسسات الدينية والمدنية والسياسية والأحكام المسبقة والخرافات.

تضمن الأصل الفرنسي قسمين كبيرين: تناول القسم الأول فصولاً عن العادات والأعراف الخاصة بالمتطلبات الطبيعية، والمسكن، التغذية، الملابس والزينـة، النظافـة، الـزواج، المـرأة، الطفولة، الشيخوخة، الدفن، صيد البر والبحر، التجارة والنقود. أما القسم الثاني فقد تناول العادات والأعراف لدى الشعوب والقدرات العقلية عند الإنسان: اللعب والرياضة، الشعوب والموسيقا، الكتابة، الرقص، الفنون المسرحية، الأعياد والمواسم، آداب اللياقة، الضيافة، العبودية، الخرافات، الحروب والأسلحة، العقوبات، النبلاء والطبقات المغلقة، والملوك.

ونجد في داخل هذه الفصول معلومات عن مئات الشعوب والقبائل من كل القارات والجزر. وهذا ما يتضح – أيضًا – من قائمة المراجع التي جعلها المؤلف في آخر الكتاب. وفي مقدمتها كتب الرحالة، وقد اهتم بها المؤلف وذكر مراجع لكتب الرحالة وحوليات الرحالة، وصحيفة الرحالة والكشوف ومجلة العلوم الجغرافية والاقتصاد والرحلات. ونجد في المراجع مجموعات مصنفة طبقًا للقارات، تضمنت عن أفريقيا كتب الرحالة وملاحظاتهم في داخل القارة وفي مصر وبعضها مترجم عن الإنجليزية وبعد ذلك ترد الكتب عن القبائل في أمريكا وجميعها مترجم عن الإنجليزية والألمانية. وذكر بعد ذلك الكتب المؤلفة عن آسيا وبعضها مؤلف بالفرنسية وبعضها مترجم من الإنجليزية، وفيها حياة البدو العرب وقبائل وسط آسيا وجماعات الهند

والصين. وفي الكتاب قسم عن أوربا والعادات القديمة والوسيطة والشعبية من روسيا والقوقاز والفنلنديين إلى الفرنسيين. وللكتاب مراجع عامة تضمنت دراسات في موضوعات محددة عبر الثقافات. وأكثر الكتب التي ذكرها المؤلف طبعت في الربع الأول من القرن التاسع عشر، ويتضح منها الاهتمام الكبير بالرحلات والكشف عن حياة الشعوب في كل القارات وجزر المحيطات.

ثانيًا:الطهطاوي والمقدمة الموسوعية

كتب الطهطاوي تمهيدًا كبيرًا للترجمة يشغل الصفحات (1-104) أطلق عليه اسم سَابِقَة، وهذه الكلمة تستحق عناية خاصة في سياق استخدام المؤلفين حتى عصره لما كانوا يقدمونه قبل الموضوع الأصلي في كتبهم. هذا معجم موسوعي صغير ذو هدف واضح، وهو بعبارة الطهطاوي نفسه: "شرح الكلمات الغربية التي توجد في كتاب قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر مرتبة على حروف المعجم مضبوطة حسب الإمكان ومفسرة على الوجه الأتم" (ص1). لقد استخرج الطهطاوي هذه المداخل من الكتاب ونظر في بعض المراجع المساعدة، وقدّم بهذا كله شرحًا تعريفيًّا لكل مدخل منها. هدف هذه السابقة تقديم معلومات لغويَّة وتاريخيَّة ومعاصرة عما ورد في الكتاب من أسماء بلدان وأشخاص.

كان الطهطاوي مدركًا لأنه يقدم كلمات جديدة لم تذكرها المعجمات العربية أو معجمات المعرّبات، ومن هنا أهمية هذا العمل. كتب الطهطاوي: "ولما كانت هذه الألفاظ في الأغلب أعجمية، فلم ترتب إلى الآن في كتب اللغة العربية، وكان يتوقف فهم هذا الكتاب عليها عربناها بأسهل بما يمكن التلفظ به فيها على وجه التقريب حتى إنه يمكن أن تصير على مدى الأيام دَخِيلة في لغتنا كغيرها من الألفاظ المعربة عن الفارسية واليونانية"(ص1). والطهطاوي هنا يقوم بتعريب هذه الكلمات وهو واعٍ

بأنها يمكن أن تستخدم بوصفها من الكلمات الدخيلة.

إنّ حصر هذه الكلمات الجديدة وشرحها جزء من تصوّر شامل لأهمية استيعاب المعاجم لكل مستحدث. كتب الطهطاوي: "ولو صنع المترجمون نظير ذلك في كل كتاب تُرجم في دولة أفندينا ولي النعم الأكرم لانتهى الأمر بالتقاط سائر الألفاظ المرتبة على حروف الهجاء ونظمها في قاموس مشتمل على سائر غريب الألفاظ المستحدثة التي ليس لها مرادف أو مقابل في لغة العرب أو الترك فإن هذا مما يفيد التسهيل على الطلاب، وبه تحصيل الإعانة على فهم كل علم أو كتاب" (ص1).

وهنا نجد – إلى جانب الفكرة العامة بتنمية المعجم العربي في أحد جوانبه – كلمة قاموس بالمعنى الاصطلاحي الشامل لهذا النوع من الأعمال المرجعية اللغوية، وليس تسميته لعمل معجمي واحد. وهذا المعنى الاصطلاحي استقر في العربية في العصر الحديث، كما نجد هدف هذا العمل واضحًا، وهو المعاونة في القراءة لكتب جديدة في العلم.

تضم هذه السابقة أسماء أماكن وشعوب في مناطق العالم الجديد لم تكن أسماؤها معروفة للمؤلفين العرب وأسماء شعوب وأماكن في مناطق أخرى من العالم القديم رأى الطهطاوي أهمية التعريف بها. بدأت هذه السابقة بمدخل هو أبرزيلة، وفيه نجد كلمات جديدة ومهمة منها أمريكة والبرتوغال. ومن العالم القديم نجد الأعلام الجغرافية، الموسقو، أروبا، بحر الخزر، نهر ولغا. ونلاحظ هنا كتابة صوت (k) الأوربية تارة بالقاف طبقًا لنسق التعريب القديم وتارة بالكاف طبقًا للعرف الجديد، كما نجد حرف الواو بقيمته الصوتية

في اللغة التركية تدوينًا لصوت (V).

أسماء الشعوب كثيرة، كلمة الإفرنج ترد كثيرًا في تسمية سكان أوربا بعضهم أو كلهم وهي كلمة متداولة في العربية منذ عدة قرون قبل

الطهطاوي، ولكن أسماء الشعوب والقبائل والجماعات المكتشفة بعد ذلك شرحها الطهطاوي في هذه السابقة، وبعضها في سياق داخل عن العالم الجديد: أروقانا إقليم في أمريكة في جنوب بلاد شيلي بين جبال إنده والبحر، "يقال لهم الأرقو ومستقلون بأنفسهم أعداء للأسبانيول وهم شجعان ومتوحشون وبأرضهم معدن ذهب عظيم(ص2). ومن أقصى الشمال في أمريكا ذكر الطهطاوي شعب "اسقيمو وأنهم مثل أهل لابونيا والسمويد ولهم توحش عظيم". وهنا نجد إلى جانب الاسيكمو ذكر شعبين آخرين، أحدهما: أهل لابونيا أي اللاب من أوربا الشمالية والثاني السمويد من الشعوب التركية في أقصى شمال آسيا.

وفي الوقت نفسه نجد الطهطاوي أفاد من المعلومات الواردة في التراث العربي في سياق كتاباته عن بعض المداخل، مثل: أورال، وسيلان، وسومطرا.

خصص الطهطاوي مداخل محدودة لأسماء الأعلام، كتب عن أوميروس في صفحتين معلومات مهمة عن رحلاته وأشعاره وقد اعتمد الطهطاوي في صيغة هذا الاسم على ما كان قد عرفه في التراث العربي، وقد أشار إلى قول لابن الصائغ في ديوانه يتضمن اسم: أوميروس. وهذه الصيغة تتفق في عدم نطق (h) مع الصيغة الفرنسية ولكنها تحتفظ بالنهاية اليونانية (os). وتقترب من الصيغة الأصلية اليونانية. وهنا نجد اسم ملحمته إِلْيَادَة وملحمته أُودِسَّة مع ضبط الاسمين والإشارة إلى المشكلة الهومرية بشأن الشك في وجود المؤلف ومشكلة تدوين الملحمتين كما كتب أكثر من أربع صفحات عن بطرس الأكبر قيصر روسيا (28 – 32). وشبيه بهذا شرحه للمدخل المخصص للقب بابا (ص1)، وهنا نجد كلمات بعضها قديم، ولكن ورود كل هذه الكلمات هنا له أهميته في تاريخ استخدامها، منها: اسقف، الكرادلة.

الطريق هنا أن الطهطاوي خصص مدخلاً كبيرًا لآلة البارومتر، سماها بارومترا(ص16). عَرَّب هنا الصيغة الإيطالية، وكتب عن هذه الآلة أكثر من ست صفحات (16 – 22) حافلة أيضًا بالمصطلحات مثل المُنْجَمِدَات (16) والمائعات (17)، والجاذبية(21)،وخواص الجسم(17)، واهتم كذلك بأسماء الآلات، مثل الترمومتر (ص1)، والميكروسكوب (ص18) وشرحه بأنه "النظارة المكبرة".

لم يقتصر الطهطاوي على العالم الجديد والمناطق المكتشفة فإنه ذكر أيضًا تأصيلاً لغويًا طبقًا للمعلومات المتاحة آنذاك ومعلومات عن أماكن مألوفة في الأندلس. كتب: اغرناطة أو غرناطة مدينة من مدن الأندلس، وهي آخر تخت من تخوت ملوك الأمويين ببلاد الأندلس، وهي معرّبة من لغة أسبانيا عن اغرناده التي معناها رمانة" (ص2). والطهطاوي هنا دقق في التأصيل ولكنه لم يدقق في التاريخ، وذلك لأن آخر عهد للحكم الإسلامي في غرناطة في حكم الأمويين الذي كان قد انتهى.

صورة العالم في هذه السابقة تتضح فيها ملامح المناطق الآتية – إلى جانب الحضارة العربية الإسلامية:

أ– اليونان والرومان والجرمان والغال.

ب– أوربا في كل أقاليمها.

جـ – آسيا الوسطى:قبائلها وشعوبها.

د– الهند والصين.

هـ – جزر المحيطات.

و – أمريكا (الشمالية والجنوبية والجماعات القديمة فيهما).

تضاف إلى كل هذه المعلومات مداخل أخرى عن بعض الفنون قدّمت للقارئ العربي معلومات عن الفنون الحديثة مثل أوبرا أو أوبرة (ص8) وسبكتاكلات(ص8،ص49 – 50) وتياترة (ص38). وفي هذه المداخل نجد ألفاظًا بدلالات جديدة، منها اللاعب واللاعبة (ص50) في تسمية من يعمل في الفنون المسرحية.

وتتضح أهمية هذه السابقة من حيث تاريخ الكلمات وقضايا التعريب والتدوين في الجوانب الآتية:

1-ضبط الكلمات الدخيلة، كما كان ينطق بها في بداية النهضة في مصر والتعبير عن ذلك بمصطلحات متداولة مثل المُوَحَّدَة والمُثَنَّاة والمُثَلَّثَة، وكذلك الفوقية والتحتية.

2-استمرار العرف القديم في تدوين كلمات دخيلة منذ قرون مثل صقلية (ص58) والصقالبة (ص57) والصين (ص59)، وبداية التحول من العرف القديم إلى العرف الجديد في كتابة الأصوات غير العربية بالحروف العربية في الكلمات الجديدة:

K (ق أو ك) أمريقا/ أمريكة

t (ص أو ت)بريطانية(ص8) /بارومتر(ص1).

s (ص أو س) صيطا(ص58) /سرب (ص).

3-تدوين حرف الواو للدلالة على القيمة الصوتية لصوت (V)، مثل ولغا Vulga وكذلك اسوج Swege، سكندناوة(ص51) Scandinavie .

4-استخدام الباء المثلثة المدلالة على صوت (P) المهموسة، مثل پاپا (ص16).

5-استمرار استخدام حرف الغين للدلالة على القيمة الصوتية لصوت (g) الانفجارية مثل غوتيق (ص63)، وكذلك تدوين الصوت نفسه بحرف الكاف، مثل إنكلترا (ص7)، وليس بالكاف الفارسية وكذلك كازيطة (17).

6-ومحاولة الرد إلى الأصل جعلته يكتب قيقرو أو قيقرون (ص72)، طبقًا للنطق اللاتيني، وليس شيشرون.

7-التأثر بالكتابة الفرنسية والنقل عنها بدون مراعاة النطق في اللغة الأصلية، وذلك في كتابته عن "مدينة تسمى وسهنجتون (ص14)، في مقابل Washington،

وبذلك جعل (s) في هذه الكلمة صوتًا، و(h) صوتًا آخر، دون ملاحظة أنهما يدلان معًا على صوت واحد آخر sh (ش).

8-اعتماد الأسماء الفرنسية، مثل اسْطُونْيين (ص4) Estonien وليس Estonia، واقتراض الاسم الفرنسي للولايات المتحدة الأمريكية: Etats Unis ايتازوني أو ايتازونيا(ص14) مع وضع نهاية، وكتب أيضًا عن لندرة Londres (ص61).

9-كلمات وتراكيب عربية، مثل جبل النار Volcano (ص4) وكتبخانة Bibliothèque (ص5).

10- ذكر صيغ متعددة معربة للكلمة الواحدة واستقرار صيغة واحدة منها بعد ذلك: اسوج... وربما سميت بلاد السويد أو بلاد سويج أو بلاد اسويجة (ص5).

11- محاولة تأصيل بعض الكلمات بذكر معناها في لغاتها، مثل غرناطة (ص5) وفرنك (ص6)، ورومة (ص43).

12- استخدام مصطلحات وتعبيرات متداولة في النسق التركي، مثل قابولستان (ص6) أي بلاد كابول وما يسمى حاليًّا أفغانستان، وبلاد البشتاق (ص50) وما يسمى حاليًّا باسم البوسنة.

13- محاولة تعرف المصطلحات العربية إلى جانب المصطلحات الأوربية، مثل: "بحيرة خوارزم بالأفرنجية بحيرة آرال" (ص4).

ثالثًا : الطهطاوي وترجمة الكتاب

كتب الطهطاوي مقدمة للترجمة تبين ظروف ترجمة الكتاب وأهمية نقله إلى العربية ومنهجه في عمل ذلك. نقله الطهطاوي وهو يدرس في باريس، كتب في مقدمة الترجمة: "طلب مني الخواجة جومار مدير تعليم الأفندية المصريين المبعوثين من طرف حضرة ولي النعمة إلى باريس كرسي الفرنسيس أن أترجم إلى العربية كتابًا

لطيفًا يسمى بما معناه ديوان قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر فأجبته لذلك، علمًا بأنه نصوح في محبة أفندينا ولي النعم ومحب لمصر كأنها وطنه ويسارع في أن يشحنها بالمعارف والحكم" (ص2). ويثبت ذلك أيضًا إشارة الطهطاوي نفسه في تخليص الإبريز إلى هذا الكتاب بعنوان كتاب العوائد والأخلاق (تخليص 28)، وفي موضع آخر استفسر المستشرق رينو من الطهطاوي بتكليف من دبنج عن طبع ترجمة الكتاب في القاهرة ورغبته في الحصول على بعض النسخ (تخليص 331). وقد فصل الطهطاوي موضوعات الامتحان الأخير الذي رجع بعده إلى مصر، وفيه دفتران، تضمن الأول عدة موضوعات كان الطهطاوي قد ترجمها منها: كتاب دائرة المعارف في أخلاق الأمم وعواديهم (ص14). وبعد أن عاد الطهطاوي إلى مصر طبع هذا الكتاب سنة 1249هـ، متضمنًا السابقة المفصلة والنص المترجم. أما النصوص الأخرى التي يتضمنها الملف الأول فقد نشر الطهطاوي أهمها في تخليص الإبريز (1834م).

يتضح من تقديم الطهطاوي للترجمة أهدافه من عملها، أراد تقديم قدر من المعرفة، كتب: "إن طبيعة كل فاضل، بل كل إنسان تشتاق إلى الإحاطة بعلم سائر المخلوقات التي ظهرت وانكشفت بواسطة الأسفار برًّا وبحرًا وإلى علم معاشها ومعادها وسائر عوائدها وفوائدها وأحوالها ومحالها إلى غير ذلك" (ص1). وهذا الهدف المعرفي يرتبط بزيادة حجم المعرفة المتاحة حتى أوائل القرن التاسع عشر من خلال كتب الرحالة الذين اعتمد عليهم المؤلف في تعرفه لأنماط الحياة في كل أنحاء الأرض. كان الطهطاوي مدركًا أهمية تقديم صورة المناطق المكتشفة وهي " بلاد الأمريكية والجزائر التي بالبحر المحيط" (ص2) من جانب ومدركًا استكمال المعلومات عن قسم آخر من الأرض 'كان معروف الاسم مجهول

الحال كالبلاد الأفرنجية والهندية والصينية وباطن الأراضي السودانية" (ص2). وتتضح من قائمة المراجع التي اعتمد عليها المؤلف مدى استيعابه لكل هذه المناطق. هذه المعلومات أصبحت متاحة في كتب "الأفرنج"وذلك بسبب"التجارات والمخالطة لسائر البلاد"ولذلك "اتسعت معارفها في الجغرافيا والميقات"، وقد وجد الطهطاوي أنه "لا سبيل حينئذ في معرفة أحوال البلدان والخلايق إلا بنقلها عمن حققها من الإفرنج".ومن هنا أهمية الترجمة العربية لهذا الكتاب.

هناك تعديلات في الترجمة العربية جعلتها تختلف عن الأصل الفرنسي. وقد ذكر الطهطاوي أنه "حذف ما يذكره مؤلف الكتاب من الحط والتشنيع على بعض العوائد الإسلامية أو مما لا ثمرة لذكره في هذا الكتاب"(ص2). وقد دلت المقابلة بين الأصل الفرنسي والترجمة العربية أن الطهطاوي حذف أيضًا عدة صفحات من الكتاب لا صلة لها بالعوائد الإسلامية. من ذلك – على سبيل المثال – مقدمة المؤلف وتقع في أربع صفحات من الأصل. وحذف الطهطاوي أيضًا هامشًا يوجد في الصفحة (17) من الأصل وكان من المتوقع وجوده في الصفحة العاشرة من الترجمة. وليس فيها ما يدخل في التحفظ الذي ذكره الطهطاوي. وحذف الطهطاوي أيضًا قائمة المراجع التي تشغل ست صفحات في آخر الأصل الفرنسي، وتضم – في المقام الأول – كتب الرحالة الذين اعتمد عليهم دبنج، كتبوا عن آسيا وأمريكا وجزر المحيطات كما كتبوا عن العرب والأفريقيين والأوربيين.

تختلف الترجمة عن الأصل من حيث تنظيم النص في داخل كل فصل، وذلك لأن الترجمة المطبوعة حذفت فيها كل التقسيمات في داخل الفصل. لم يستخدم المترجم نظام الفقرات أو علامات الترقيم. تتابعت الكلمات في كل فصل من أوله حتى آخره دون تقسيم داخلي، وذلك على

الرغم من وجود نظام الفقرات وعلامات الترقيم في الأصل الفرنسي.

هذا الكتاب له أهمية كبيرة في تاريخ المصطلحات وألفاظ الحضارة في العربية. لقد أفاد الطهطاوي في هذه السابقة وفي الترجمة أيضًا من التراث العربي ومن المتداول في عصره. يتضح هذا على وجه الخصوص في السابقة في كلمات مثل:سلطانية(ص5)، مملكة (ص4)، سراية (ص5)، تخت (ص5)، الأفلاق(ص6)،ولاية (ص6)، الدولة الالتزامية (ص9)، ومن الجانب الآخر نجد عنده تراكيب طريفة، منها: علم الخرافات (ص9)، الكرة الأرضية (ص10)، وعنده كلمات جديدة أخرى تستحق بحثًا تاريخيًّا لغويًّا، مثل كلمة جمهورية (ص11).

طريقة الترجمة عند الطهطاوي تعتمد على المعنى العام للجملة والتعبير عنه بالعربية بأقل الكلمات، والطهطاوي لديه مهارة عالية في اختصار العبارة.

Les divers Peuples de la terre كل أمة

il y en a de si malheureux ou de si imprévoyans

فمن الناس من هو فقير الحال

Les plus délicates de toutes les parties de monde

أحسن مطعوم ومشروب

(قارن في الأصل 14 وفي الترجمة ص8).

وبعض المواضع يلاحظ حذف ترجمة المصطلح وما يتصل به اكتفاء بما ورد معناه في عبارة شارحة سابقة:

qui habitait les cavernes et que l'an applelait les troglodytes (p.5)

الترجمة: من .... يتخذ الكهوف والمغارات بيوتًا (ص4)، وبذلك حذف النص الثاني من العبارة المتضمن مصطلح troglodytes بمعنى سكان المغارات.

ومن ذلك أيضًا حذف اسم علم اكتفاء بترجمة المعنى، من ذلك حذف اسم علم الشخص مثل des (p12) Homére d' Héros وفي ترجمة من مدحهم الشعراء (ص12)، ومثل هذا عدم ترجمة اسم الكتاب المقدس

La Bible وجعل في مكانه: وهذا ما يحكى عن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم(ص12).

وإلى جانب هذا وذلك نجد حذف جزئيات حضارية يصعب إيجاد المقابل المباشر لها، مثل أسماء الأطعمة، ذكرت في الأصل (22 – 23) وحذفت في الترجمة (ص12).

وعلى العكس من هذا كله نجد في الترجمة إضافات كبرى هي أدنى إلى التعليق. ومن ذلك ما ذكره الطهطاوي تعليقًا على طعام الفرنسيين، وقدم لذلك بعبارة : "ولمترجم هذا الكتاب أن يقول ..."…. وهذا التعليق في اثنين وعشرين سطرًا،وختامه: آمين، انتهى كلام مُعَرِّب هذا الكلام(ص13).

أما الإضافات المتكررة فهي زيادات شارحة أدخلها المترجم في سياق المتن، مثال ذلك موضوعات تناول بعض الأطعمة بالملعقة وابتداع استخدام الشوكة والسكين، أدخل الطهطاوي قبل ترجمة النص عبارة: ومما أعد من البدع المستحسنة (10). ومثل هذا إضافة عبارة: "وليس هذا بعجيب لما أن أكل الجراد حلال" (ص9). وهنا نجد مصطلحات فقهية إسلامية لا وجود لها في الأصل الفرنسي مثل البِدَع والحَلال. ومن الإضافات الشارحة ما يحدد الأماكن، مثال ذلك في الأصل في روسيا dans la Russie (p.g) ، فأضافت الترجمة: يعني بلاد موسقو (ص6). ومثل هذا نجده في ذكر جزر الفلمنك الجديدة la Nouvelle-Hollande فأضافت الترجمة: في البحر المحيط الأكبر (ص5) وكذلك: بلاد برو، أضافت الترجمة: في بلاد أمريكا (ص8) وهذه العبارات الشارحة المضافة كثيرة.

رابعًا: الترجمة وألفاظ الحضارة

هناك مصطلحات وألفاظ حضارية نجدها في الترجمة بالعربية على سبيل الاشتقاق من مواد لغوية عربية ومن أوزان عربية. من ذلك كلمة طِبَاعة بوزن فِعَالة للدلالة على الصناعة الآلية للكتاب وغيره. نجدها

فــي الترجمــة (64) فــي عبــارة: بعــد ظهور الطباعة، في مقابل : depuis que l'imprimérie (p.135-136)

وأصبحت هذه الكلمات العربية من متطلبات تلك السنوات في عصر محمد علـي عنـدما بـدأت المطبعـة الأميريـة ببولاق التي طبع فيها هذا الكتاب.

ومـن الأبنيـة الصـرفية القياسـية، التــي نجـد منهـا كلمـات دخلـت فـي مصـــطلحات مهمـــة، وزن مُفَاعلـــة. وهنـــاك كلمتـــان مُنَاطَحـــة ومُلاكَمَـــة. الكلمـة الأولـى فـي سـياق "المناطحـة للثيران" (ص53) في مقابل Les combats de taureaux (p.109) والكلمة الثانيـة ملاكمـة (ص53) فـي مقابـل ce qu'il appelle boxer (p.111).

وزن مَفْعَلَـة نجـده للدلالـة علـى المكان في كلمة مَلْعَبة (ص67)، كتب الطهطـاوي: فـي مدينـة بـاريس خمسـة وعشرون ملعبة من هذا اللعب، أعلاها الملعبــة المســماة الأوبــرة" (ص67)، وذلك تـارة فـي مقابل théâtre وتـارة فـي مقابل salle des spectacles (p.142) .

هنـاك دلالات جديـدة فـي مجـال الفنـــون المســـرحية، عبـــر عنهـــا الطهطاوي بالمادة: ل ع ب ، من ذلك الفعــل: لعــب واســم الفاعــل منـــه: لاعب(ص67) في مقابل Les acteurs (p.145-147) و Jouer وقـــد تكـــررت الكلمـات العربيـة لعـب واللعبـة ولاعـب ولاعبـة ولاعبـون واللَّعَّـابُون فـي الفصـل الخـاص فـي موضـوع لعـب السـبكْتاكْل الروميــة. هــذه الكلمــات تتخــذ دلالات جديـدة تتجـاوز مجـرد الحركـة بهـدف التسلية إلـى تقديم العروض المسرحية، ولــم يســتخدم الطهطــاوي هنــا الفعــل شَـخَّص، كمـا لـم يسـتخدم الفعل مَثَّـل ومشـتقاته علـى النحـو الـذي اسـتقر بعـد ذلك.

أفاد الطهطاوي من كلمات محلية للدلالـة علـى مفـاهيم لهـا أصـولها فـي الحضـــارة العربيـــة الإســـلامية، وإن أصـبحت فـي تطورهـا الأوربـي الحـديث جديـدة نسـبيًا. ومـن ذلـك كلمـة مَنْـدَرَة (ص77)، كـــذا ولـــيس الصـــيغة الفصيحة: منظرة في مقابل:

l'atrium ou la grande salle voutée(p.10)
وكتب الطهطاوي عن: خَزْنَة الكَرَار (ص7) في مقابل l'office (p.11) وعن خَزْنَة الكتب (ص7) في مقابل la bibliothèque (p.11)

التركيب وسيلة من الوسائل اللغوية للتعبير عن المفاهيم الواردة في الأصل الفرنسي. نقل الطهطاوي مصطلح les antiquités إلى: آثار القدماء (ص4)، وقد استقر هذا المصطلح بعد ذلك بحذف المضاف إليه، واتخذ دلالة اصطلاحية جديدة ومستقرة ولها أصولها العربية. عبر الطهطاوي عن les restaurants بالتركيب الإضافي: بيوت الأكل (ص13).

كان الاعتماد على اللغة الفرنسية سببًا في ظهور أسماء بصيغ مخالفة للغة الأصل. ونذكر مثالاً من ألمانيا: شعب ومنطقة شفابن Die Schwaben في الجنوب الغربي، ذكر المؤلف الكلمة بالفرنسية La Souabe (p.120)، وفي الترجمة نجد: "وفي بلاد النمسا سوابة (ص) . وهكذا عرَّب الطهطاوي الكلمة عن الفرنسية. أما اسم بلاد النمسا فكان يدل في كتاباته على ألمانيا كلها.

وتتعقد الصيغة أكثر مع ذكره للفنلنديين بكلمة Les Finnois (p.123)، ونقل ذلك إلى العربية: الفِنْوَى (ص58). وأسماء المدن كتبت بالنطق الفرنسي، مثل Londres لندرة، ومثلها New Market (p.113) كتبت مدينة نيومركة (ص54)، وكذلك أسماء الدول: (les) Etats Unis (p39) مقابلها في الترجمة مع الشرح: الايتَازُونِي أي مجمع الدول من
أمريكة (ص20).

الكلمات الدخيلة من الفرنسية تقدم في الترجمة فنونًا جديدة. كتب الطهطاوي عن السِبكْتَاكْل وأنها تسمى الكوميدية والتياتره (ص 66 ، 67) في مقابل الكلمات الفرنسية comédie(p.143), les spectacles (p.141), théâtres(p.142). وباستثناء كلمة كُمِدْيَة التي استخدمها الجَبَرْتي فإن الفن المسرحي كان في هذه الكلمات من

الجديد بالنسبة لقراء هذه الترجمة العربية.

ولهذا كله تعد هذه الترجمة العربية التي أعدها الطهطاوي وقدّم لها ونشرها من أهم النصوص في تاريخ لقاء الثقافات، ولها أهميتها في التأريخ للمصطلحات وألفاظ الحضارة في اللغة العربية في بداية النهضة الحديثة. إنها تقدم الحلول اللغوية التي اقترحها الطهطاوي لإيجاد مقابلات دالة على المصطلحات وألفاظ الحضارة الحديثة، وتقدم في الوقت نفسه صورة للجديد في العلم والثقافة ومن هنا لها دلالتها أيضًا في تاريخ لقاء الثقافات.

محمود فهمي حجازي

عضو المجمع